Pegem Journal of Education and Instruction, Vol. 15, No. 4 , 2025 (pp. 633-643)

RESEARCH ARTICLE WWW.PEGEGOG.NET

The médiocraty and the control of the trivial Between Alain Deneault and Milan Kundera.

Dr. Ouiza Gharbi [1]

[1] : Blida -2- University, Algeria ,Laboratoire etudes litteraire et critiques, o.gharbi@univ-blida2 dz

Abstract

The Canadian philosopher" Alain Deneault "explains a system that is called throughout the world(La Médiocrate).And the essence of this system is" extremism "that brings things out of its moderation, which led to the birth of a new concept that establishes an oligarchy of a different type he calls" Alain Deneault "in his book (La Médioocatie) as a social social system whose economic roots laid the rules of an extremist system, to create a state of unbalanced In all areas: economic, social, political ,academic, and cultural, after all the standards and values that control all of these fields were removed, high efficiency is no longer a criterion nor a scale is a measure, and in this phrase the author is summarized Who" fell in the hands of the trivial "·Stressing that there is a" game "that controls our world today, investigating the accepted values and raises the measure of profit and loss that calls for easy success and rapid rise, while consolidating a hollow speech that overcomes special interests at the expense of public interests, leads to the retreat of a serious and distinguished individual on himself; And his withdrawal gradually from its social, scientific and cultural role, and in light of the rule of this mediure, the average becomes the base, the settlement dominates and all the values and ideas become exchangeable, which will result The averages of power, in order to build their empire that will extend to all areas of life, and a revolution will occur in values and a coup in concepts.

Keywords:

trivial system, gossip of values, nihilism ,mediation, flattening, flabby thinking.

نظام الرداءة (la médiocratie) وسيطرة التافهين بين "ألان دونو" في " نظام التفاهة" وميلان كونديرا في" حفلة التفاهة"

د. ويزة غربي [1]

[1]: جامعة علي لونيسي البليدة –02–، الجزائر،

o.gharbi@univ-blida2 dz

ملخص

يُشرّح الفيلسوف الكندي"ألان دونو" (Alain Deneault) نظاما توطن في كل العالم يطلق عليه la médiocratie))[1]، وجوهر هذا النظام هو "التطرف" الذي يخرج الأمور عن اعتدالها، مما أدى إلى ميلاد مفهوم جديد يؤسس لأوليغاشية من نوع مختلف يسميها "ألان دونو" في كتابه((la médiocratie)) وهو نظام اجتماعي سياسي جذوره اقتصادية أرسى قواعد نظام لا يؤمن بالاعتدال، لتنشأ حالة من اللاتوازن

Corresponding Author e-mail: o.gharbi@univ-blida2 dz

How to cite this article: Dr. Ouiza Gharbi 1. The médiocraty and the control of the trivial Between Alain Deneault and Milan Kundera.. Pegem Journal of Education and Instruction, Vol. 15, No. 4, 2025, 633-643

Source of support: Nil **Conflicts of Interest:** None.

DOI: 10.47750/pegegog.15.04.48

Received: 25.11.2024 **Accepted:** 25.02.2025 **Published:** 10.05.2025

في كل المجالات: الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، العلمية الأكاديمية، الثقافية، بعدما تم تسليع كل المعاير والقيم التي تتحكم في كل هذه المجالات، فلم تعد الكفاءة العالية معيارا ولا الاقتدار مقياسا، وبهذه العبارة يلخص مؤلف كتاب(la médiocratie) الوضع في كل العالم الذي "سقط بأيدي التافهين." مؤكدا أن ثمة "لعبة" تسيطر على عالمنا اليوم تقصي القيم المتعارف عليها وتعلي من شأن مقياس الربح والخسارة الذي يدعو إلى النجاح السهل والصعود السريع، مع ترسيخ خطاب أجوف يغلب المصالح الخاصة على حساب المصالح العامة، يؤدي إلى انكفاء الفرد الجاد والمتميز على نفسه؛ وانسحابه بالتدريج من دوره الاجتماعي والعلمي والثقافي، وفي ظل حكم هذه الرداءة يصبح المتوسط هو القاعدة، وتهيمن التسوية وتصبح كل القيم والأفكار قابلة للتبادل مما سينتج حالة من "التخدير" يحذر منه ألان دونو الذي قدّم نقدا لاذعا لهذا الوضع الذي استولى فيه المتوسطون على السلطة، من سرع بناء إمبراطوريتهم التي ستمتد إلى جميع مجالات الحياة، وستحدث ثورة في القيم وانقلابا في المفاهيم.

الكلمات المفتاحية:

نظام التفاهة، تسليع القيم، العدمية، التوسط، التسطيح، التفكير المترهل.

مقدمة

تتميز مرحلة ما بعد الحداثة بظهور القواعد والمعايير التي أرستها الرأسمالية الاستهلاكية، بعد تقدم العلوم والثورة التقنية التي أدت إلى انهيار المعايير والقيم الإنسانية الأصيلة التقليدية، فتبلور خطاب ما بعد الحداثة على أسس مغايرة واتجاهاتٌ مضادة تنادي بسقوطِ الأيديولوجيات ونهاية الميتافيزيقا، وتُطالِب بالخروج عن كل قياس معياري، لقد فككت مقولات الفلسفات الوثوقية المبنية على نتاج العقل وحده وموت كل المرجعيات، وتَسبب هذا الأمر في خلق حالة من الفوضى والعدمية تدعو إلى الثورة على كل ما هو فني وجميل وتكرس نظاما يهمش منظومات القيم ويصيب العلاقات الاجتماعية في مقتل، بعدما تراجع دور الفلسفة عن التأسيس لفكر عقلي وتم تجريدها من دورها في صناعة القيم والمثل، حيث يبعد الأكفاء وتبرز الأذواق المنحطة وتشيع الثقافة الاستهلاكية، ويغيب أصحاب المؤهلات ويتسيّد المجتمع من هم دون ذلك، وإذا ما تجرأ واحد بانتقاد هذا التسطيح نعتوه بالشخص العميق من باب المفارقة والسخرية، فتحول هذا التسطيح الى نظام شامل ينتشر في كل العالم، فمن الطبيعي أن يفقد الانسان توازنه في عالم انقلبت فيه الموازين وفُقد الاهتمام بالشأن العام، وانصراف الفرد إلى شأنه الخاص، فأصبحت المجتمعات تعاني من الانحدار دون إبداء أي مقاومة، كما غاب المعنى عن غالبية مظاهر الحياة الإنسانية وتحولت السلبية إلى قيمة تجد من يمجدها ويدافع عنها، وكثر الحديث المضلل عن الحياد في الرأي والكتابة والشأن العام باعتباره فضيلة، وظهرت مهارات الاقتناع السريع بالرأي دون مناقشته.

إننا نعيش مرحلة تاريخية لا مثيل لها كما أعلن المؤلف سيطر فيها التافهون دون كبير عناء، بتطبيق معايير مادية محضة حتى أصبحت الرداءة هي القيمة الوحيدة الحقيقية في عالم اليوم، الذي أصبحنا نتساءل فيه عن غياب الكفاءات وتهميش المتميزين، لماذا لم يعد يظهر المتميزون ويختفى المتفوقون؟ لماذا تغيب الكفاءة وتهمش المهارات؟ كيف أصبحت " médiocratie la" نظاما عالميا، وكيف جسد ميلان كونديرا هذه التفاهة في روايته " حفلة التفاهة " حتى أصبحت جوهر الوجود عنده ؟

1- "التوسط" والشحن المفاهيمي الخاص عند " ألان دونو"

تناول "آلان دونو" (Alain denault)([2]) في كتابه (la médiocratie)([3]) أكثر المفاهيم المعاصرة تعقيدا وقد خصه بكتاب يحمل العنوان نفسه، فدخل هذا المصطلح الى قاموس ما بعد الحداثة بفضله بمفهوم خاص، ويبدأ " ألان دونو" في بداية كتابه بتحديد دلالة كلمتين هامتين يلخصان هذا النظام يعتبران مدار الكتاب كله هما: (médiocratie) و(médiocrité) فمن الضروري فهم هاذين المصطلحين لغويا وما بينهما من اتفاق واختلاف، ثم تحديد مفهوم (médiocrité) باعتبارها وصفا لأشخاص متوسطي الأداء في المجالات التي يشتغلون بها، وهنا يتعلق مفهوم (médiocrité) بالأقل من المتوسط (moyen) الذي يصل إلى درجة الرداءة، وكذا مفهوم (médiocratie) باعتبارها نظاما انتشر في المجتمع والسياسة والاقتصاد والإعلام والفنون وفي دوائر السلطة وحتى المؤسسات الخاصة، وأحكم قبضته عليها حتى أصبح حسب الفيلسوف "ألان دونو" يشكل ديكتاتورية من نوع جديد تقوم على تمجيد هذه "الرداءة" (médiocrité) وتدعو الناس إلى الانضمام إليها، فـ" (La médiocratie) هي تسلط وحكم (la médiocrité)"([4])، وتشير كلمة (médiocrité) لغة إلى ما هو متوسط وهي مأخوذة من لفظة (mediocre) التي تعني المتوسط، ففي اللغة الفرنسية تستعمل كلمة (médiocrité) للتعبير عن المتوسط (moyen)، فلا نقول moyenneté"([5]) لأنها غير موجودة أصلا في اللغة الفرنسية، فتصبح بذلك كلمة (mediocrité) حاملة لدلالة ترتبط بالمتوسط، ومأخوذة من الكلمة اللاتينية (mediocris)، و(medius) بمعنى المتوسط ."([6]) ويبقى التوسط هو المعنى الأساس في تحديد الدلالة اللغوية التي تتمظهر في صور مختلفة سياسية، اجتماعية، اقتصادية، فنية، ثقافية وبالتالي تصبح " الرداءة تشير إلى نظام التوسط الذي أُعد ليكون نموذجا"([7]) يسيطر على العالم، أما اصطلاحا فقد استعمل (ألان دونو) كلمة (médiocre) بمعنى الرداءة التي تنتشر في مختلف المجالات التي يتسيد فيها هؤلاء الأشخاص المتوسطون، بتواطؤ بعض الدوائر التي تسمح بالوصول إلى السلطة للأقل كفاءة، ومن صفاته " قلة الاهتمام بالكثير من الأمور؛ قليل الذكاء؛ قليل الموهبة، قليل القدرة على تسيير أموره " ([8]) كما تطلق " لوصف الشخص أو حالته من حيث التفاهة والابتذال أو السخافة أو تواضع المستوى" ([9]) وفقا لتعريف القاموس الفرنسي فإن الرداءة هي أقل من المتوسط، أما (mediocratie) فقد استخدمها المؤلف بمعنى جديد، يرتبط ارتباطا كبيرا بلفظة (moyenne) بمعنى المتوسط فيقول :"ولما يصبح التوسط فعلا مفروضا من طرف السلطة على العمال في مختلف الإدارات والمصانع والمؤسسات الاجتماعية، فيقدمون كلهم عملا متوسطا بجهد بسيط وبالمستوى نفسه دون الحاجة إلى المتخصصين والمجهود الكبير، هنا يصبح هؤلاء المتدخلين كائنات قابلة للتبديل (interchengeableS) بسهولة، لأنها تعتمد على مهارات بسيطة في أدائها يجعلها سهلة الاستبدال، "لقد أصبح التوسط أمرا واقعا يجعلنا معرضين لخطر كبير في القرن الواحد والعشرين، يؤدي إلى إفلاس المؤسسات وانهيار النظام الاجتماعي أمام أعيننا"([10]) في حرب انتصر فيها هؤلاء دون أن تطلق فيها أي رصاصة، فلم" يكن هناك اقتحام لسجن الباستيل، ولا شيء يمكن مقارنته بحرق الرايخستاغ، ولم تطلق أورورا رصاصة واحدة بعد. ومع ذلك، تم شن الهجوم بالفعل وتكلل بالنجاح[11]"إنها حرب مخدرة كما وصفها ألان دونو، انتصروا فيها دون بذل أي مجهود، أهم وسائلها الولاء بدل الكفاءة، حيث يتم سيطرة التافهين وذوي البساطة الفكرية على المجلات الهامة والحساسة، وإفراغ كل شيء من قيمته وتجريده من محتواه الهادف، في غياب تام للروح النقدية، إنه نظام قائم على تسليع القيم وتثمين الرداءة.

2- الحرب المخدرة: (la révolution anesthésiante)

يتحدث المؤلف عن الخطورة التي يشكلها هذا النظام على حياة الناس وينعته بـ"الحرب المخدرة"، إنها حرب مدمرة لكل المعايير التي احتكمت إليها البشرية سابقا، تمكن فيها أصحاب الكفاءات الضعيفة والقدرات القليلة من السيطرة، إنها رفع من هو دون المستوى الى أعلى الهرم، فأصبحت السطحية معيارا أساسيا في كل تعاملاتهم، شعارهم " إبقاء أنفسنا في المتوسط وأن يكون نشاطنا متوسطا، ومعرفتنا متوسطة، ورغبنا متوسطة"، إنها حرب دون مواجهة، إن الحرب التي استولى فيها هؤلاء على السلطة مختلفة عن المتعارف عليه من الحروب الكلاسيكية بوسائلها التقليدية، فلم تعد حربا بيولوجية ولا نووية يفنى إثرها العالم باستعمال أفتك أسلحة الدمار، إنها حرب من نوع أخر إنها أكثر خطورة من حيث تأثيرها على المجتمعات، شملت كل العالم بخطط بديلة وعدة بشرية بمؤهلات أقل، يخوضون غمارها من أجل الحصول عل مكاسب جديدة وإغراق العالم في مزيد من الرداءة، في السياسة كما في التجارة، فقد حسم هؤلاء المعركة لصالحهم، إنها ثورة تدعونا لإلغاء قناعاتنا بكيفية نغدو معها كائنات متشابهة قابلة ليعوض بعضها بعضا، عاجزة عن إبداع أي شيء؛ تكتفي بالحد الأدنى في أداء مهامها، لقد شيدوا عالمهم بعيدا عن الإبداع والتميز، إنها فلسفة جديدة ومختلفة يريدون نشرها في كل مكان.

من نتائج هذه الحرب تدهور" متطلبات الجودة العالمية، وتغييب الأداء الرفيع وتهميش منظومات القيم وبروز الأذواق المنحطة وإبعاد الأكفاء وخلو الساحة من التحدي، فتسيدت إثر ذلك شريحة كاملة من التافهين والجاهلين وذوي البساطة الفكرية، وكل ذلك لخدمة أغراض السوق بالنهاية، ودائما تحت شعارات الديمقراطية والشعبوية والحرية الفردية والخيار الشخصي " ([12]) يسير العالم في ظل انتشار هذه الأفكار نحو الكارثة، وإذا لم يبدأ الناس في التعامل مع هذا الوضع بصرامة، ستتعرض كل المجالات للتطرف التبسيطي والمتعصب بجميع أنواعه، إنه الوجه الخفي لأي نظام سياسي يسعى لإبقاء الشعوب في حالة طاعة وخضوع وجعلها تؤمن بالحرية الوهمية نظرا للنقص التام في الوعي لديها

3- سيطرة التافهين وذوي التفكير البسيط وتحييد الكفاءات

لقد أصبح العالم يعيش ظاهرة لم يعرف لها التاريخ انتشارا بالقدر الذي تعرفه في وقتنا الحالي، مرحلة تسيد فيها أصحاب المستوى المتوسط والكفاءات البسيطة والإبداع المحدود على كل نواحي الحياة، وارتبط بقاؤهم فيها بما يمارسون من تهريج في السياسة والاقتصاد والعلم والإعلام والثقافة، إذ حل الولاء بدل الاستحقاق واستخف بقيم المجتمع إذ حيد أصحاب الكفاءة العلمية الراقية وفسح المجال للأقل كفاءة، وتم الاستيلاء على الإعلام وسخر لخدمة القضايا التافهة بدل القضايا الهامة، فأصبح العامة يسيطرون على المشهد الثقافي ويوجهونه حسب أهوائهم فازدادت الشعوب تخديرا، فكل ما كانت الديمقراطية تضمنه للمواطنين ضرب عرض الحائط في هذا النظام الجديد الذي تحدث عنه الفيلسوف والمفكر الكندي "آلان دونو" الذي عارضه وانتقده بشدة في كتابه "médiocratie la"[13] الذي رسم فيه صورة قاتمة عن موطنه كندا، والتي تنطبق أيضًا على كل العالم الذي سيطر عليه هؤلاء دون أي عناء، يكشف فيه قلقه على مستقبل الإنسانية أمام زحف هذه الفئة، وعندها"سيشعر البعض بالحزن الشديد لرؤية هذه العمليات المتواصلة التي تترك أفضل عناصر الحياة الاجتماعية على الهامش"([14]) في زمن لم تعد المعرفة هدفا ولا التميز مطلبا، إنه نمط جديد لسيادة السذاجة وتحولها إلى نظام سيطر على المشاريع الكبرى في حياة

الناس، تنتهجها الحكومات لإغراق الشعوب في التفاهة فيسهل التعامل معها كقطيع توجهه حسب فلسفتها دون أي اعتراض منها.

4- غياب الروح النقدية ومنظومة التسطيح

لقد أطلق المتوسطون قبضتهم على المجتمع رغم قلة مواهبهم وكفاءتهم ورغم انعدام الجودة في أدائهم تمكنوا من السيطرة على دوائر الحكم، فلم يعد االتميز والتخصص والإتقان مطلوبة في أعمالهم، بل أصبح الأهم من ذلك إطاعة الأوامر وتنفيذها دون انتقاد أو تفكير، إنهم" أولئك الذين يتخلون عن كل أصالة، وأي مساءلة للأنظمة المهنية والاجتماعية الراسخة، أولئك الذين قيدوا ثم فقدوا كل روح نقدية، أولئك الذين يدافعون عن مواقف وسطية عقيمة وعديمة النكهة. المشكلة هي أن هؤلاء الأشخاص على وجه التحديد هم الذين يتم ترقيتهم اليوم إلى مناصب سلطة." ([15]) ويحدد "ألان دونو" المهارة الوحيدة التي يتمتع بها هؤلاء وهي " معرفة شخص متوسط مثلهم ويتعاضدون من أجل بناء مجموعة قوية بجذب أمثالهم "([16]) وهو ما دفع المؤلف إلى تقديم نقد لاذع لهذه القواعد التي بنوا على أساسها تجمعاتهم والتي تشوه العلاقات الاجتماعية، ولأننا في مرحلة مواجهة تحديات عالمية تهدد وجود الإنسانية عامة لا يمكن مواجهتها بمثل هذا السلاح الذي سيزيد الوضع سوءا.

إنه نظام يقدس السخافة ويدعو للسطحية والابتذال، ليس على مستوى الأفراد فحسب بل على أعلى مستويات السلطة والحكم، وخير من يمثل هذا الوضع الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب"، الذي عاش معه العالم حالة سياسية، اقتصادية، اجتماعية غير مسبوقة.

يوجه "ألان دونو" دعوة على لسان التافهين فيقول "ضع هذه الأعمال المعقدة جانبًا، وستقوم دفاتر المحاسبة بتلك القضية...أنت تخاطر بالظهور متعجرفًا"([17]) فالجدية عند هؤلاء تجعل الشخص الذي يؤدي أعماله المعقدة على أحسن وجه يبدو متعجرفا، في حين أن هناك من يؤديها بأقل التزام، إنها دعوتهم للتعامل مع كل الأمور بسطحية واستخفاف، لذا جاء كتاب "ألان دونو" لتحسيس العالم بخطورة هذا النظام الأوليغارشي، وحث الشعوب على مواجهة موجات التسطيح وبعث العقل النقدي من جديد.

5- غياب العقل النقدي والانبطاح الفكري

يبدأ "ألان دونو " كتابه بخطاب على لسان التافهين يوجهه للأشخاص الجادين

ولكل من يدعي الالتزام ويفتخر بإنجازاته وروحانيته قائلا: "أنت تبدو مغرورا لذا لا داعي لإبداء شغفك لأنه مخيف، ولا تبدي أفكارك الجيدة يوجد منها الكثير، نظرتك الثاقبة مزعجة يجب أن تكون أفكارك رخوة" فالمطلوب أن تقزم نفسك وإحساسك بذاتك حتى نتمكن من تصنيفك في مرتبة معينة، فأنت لست متفردا بل شخصا عاديا يمكن تصنيفه مع غيره وبالتالي استبداله بسهولة كأي شيئ مادي ، فالزمن تغير وكذا المعايير، فلا حاجة لنا في هذا الزمان لاستعمال القوة و إطلاق الرصاص من أجل الاستيلاء على العالم، لقد انتصر التافهون وسيطروا على العالم وبنوا امبراطوريتهم على أسس أهمها انسحاب التفكير العميق والمنطقي في النظر إلى الأشياء، فلا منطق إلا منطق المادة الذي أفسح المجال أمام تغول النزعة التقنية ذات الطابع التبسيطي والتنميطي الذي تأنفه القواعد والأعراف الأكاديمية العلمية، فتصبح التفاهة هي القيمة الوحيدة الحقيقية في عالمنا المعاصر فنحن نعيش أوج مراحل التفاهة..([18])الذي غاب عنه المعنى"إن الرداءة تحرضنا على سبات الفكر"[19].

6- تسليع القيم وتثمين الرداءة

إن نظام التفاهة يعني انسحاب التفكير العميق والتأملي في النظر إلى الأشياء، وبالتالي إفساح المجال أمام تغول النزعة التقنية ذات الطابع التبسيطي والتنميطي الذي تكفله القواعد والأعراف الأكاديمية وضبطها وفق معايير السوق، ووجه الاقتصاد لخدمة المصالح الخاصة فحلت الشركات بدل المؤسسات، واستولى أصحاب الأداء المتوسط وأصحاب القدرات البسيطة، فتحول النظام إثر ذلك إلى نظام "ميديوقراطي" ([20]) يعلي من شأن هذه الفئة ويحتفي بها، ويرسي قواعد نظام سيشكل بدوره أوليغارشية الرداءة وهي من أهم مظاهر "سيولة" مرحلة ما بعد الحداثة، التي يخشى الفلاسفة وعلماء الاجتماع أن تصبح شكلا جديدا من أشكال الشمولية، فعبر العالم كله " تدهورت متطلبات الجودة العالمية وغيب الأداء الرفيع وهمشت منظومات القيم وبرزت الأذواق المنحطة وأبعد الأكفاء وخلت الساحة من التحديات، فتسيدت إثر ذلك شريحة كاملة من التافهين والجاهلين وذوي البساطة الفكرية، كل ذلك خدمة لأغراض السوق بالنهاية وتحت شعارات الديمقراطية والشعبوية والحرية الفردية والخيار الشخصي، حتى صار الأمر يذكرنا بما كان مونتيسكيو يحذر منه من وجوب صون الحرية عن الابتذال "([21]) إن دفع النخبة للتخلي عن بناء النوذج واهتماهما المبالغ فيه بالوسيلة، حول دورها من توعية الناس وتثقيفها.

7- سيطرة التفاهة في المجال السياسي

استخدم"ألان دونو" لفظ (médiocre) بمعنى المتوسط في المجال السياسي ليعبر عن "حكومة الطبقة الوسطى"([22]) التي لا ترغب في جذب "الأفضل" ولا وضعهم على رأسها، بل تسند مناصب سلطة واتخاذ القرار إلى أشخاص غير أكفاء وغير مؤهلين على رأس العمل. والوسط المتطرف مفهوم أسسه الفيلسوف ألان دونو في السياسة يقوم على إلغاء محور اليسار واليمين لصالح خطاب جديد هو خطاب الوسط المتطرف([23]) إن (médiocre) بمعناها الخاص عند المؤلف هي تجسيد للمتوسط الرديئ الذي كان يصنف في مرتبة أقل، وفي ظل حكم الرداءة يصبح المتوسط هو القاعدة، "فعبر العالم يلحظ المرء صعودا غريبا لقواعد تتسم بالرداءة والانحطاط"([24]) فأصبح في ظل هذا النظام الذي تؤسسه و تفرضه طبقة لا تتقن العمل، القائم على تمجيد هؤلاء ووضعهم في أعلى مرتبة، إن سيطرة الطبقة المتوسطة تكشف عن الوجه الخفي لأي نظام سياسي يسعى لإبقاء الناس في حالة خضوع توهمهم بالحرية التي لا يتمتعون بها في الواقع لأنهم " سينضمون للعيش في إطار نظام موحد، سيدخلون في نمط معيشي أطره ضيقة جدا، ويخضعون لقواعد صارمة جدا في الفكر والتعليم وتنظيم السلطة والاقتصاد والسياسة والإعلام "([25]) وعبارة "الوسط المتطرف" متناقضة في ذاتها فالوسط عادة هو موقف معتدل بين اليسار واليمين، ولكنه تحول بفضل فئة المتوسطين إلى موقف متطرف، وما في هذه العبارة من مفارقة تعكس وضع هؤلاء الذين وصلوا حد التطرف، وبالتالي خلق نظام اجتماعي جديد يمكن أن يؤسس لأوليغارشية ناعمة شعارها "البقاء للأتفه"، ويستحدم صناع القرار السياسي المؤسسات المالية، والمختبرات لصناعة مفاهيم صنمية، وكلمات جوفاء تستبعد الآخرين وتنوم الفكر. وسيقدم المؤلف نفس الملاحظة بالنسبة للمجالين الثقافي والمالي: الاستيلاء على رأس المال الاقتصادي أو الثقافي، ودكتاتورية الكلمات "المطابقة"، وعدم التسامح مع الأفكار المختلفة، وتعزيز "الأدلة غير العاكسة".

8- الوسط المتطرف ومفهوم اللاثقافة

إن مصطلح الوساطة بعيدًا عن كونه مفهومًا سياسيًا، يشير أيضًا إلى حالة ثقافية، بشكل أكثر دقة حالة لاثقافية تشارك فيها السياسة مثل جميع الحالات المؤسسية الأخرى. والوسطية هنا تعني اختزال مفهوم الثقافة إلى

أدنى مستوى، تعكس وضعا ثقافيا مترديا يصف حالة تهميش المثقف وما يعانيه المجتمع من ركود ثقافي وفكري، حيث تكون المادة المتوسطة هي المادة الأكثر انتشارًا، لأنها الأكثر سهولة في التسويق، إن الثقافة الجديرة بالاهتمام، كما هو الحال في أي ديمقراطية حقيقية، يُنظر إليها بشكل متزايد على أنها مجرد مستهلك للسلع أو "الثقافة" لذلك يلزم التصدي لثورة تسعى إلى تخديرنا، هذا ما يوجه الفيلسوف آلان دونو انتباهنا إليه ويحذرنا ممن يسميه المؤلف بالـ" فالسفسطائي المعاصر، الذي يُكافأ على التفكير بطريقة بسيطة...ويتصرف ضمن إطار وظيفي صارم"([26]) وهو المثقف المتوسط المهارات الذي تعينه الدوائر الحكومية ومؤسسات المال والأعمال لا يمكنه التصرف بمستواه البسيط إلا في المجال الذي تحدده هذه الدوائر دون تفكير أو مناقشة، فما يهمها ليس الأداء الرفيع ولكن ما يقدمه هؤلاء من خضوع وولاء وينالون مقابل التزامهم الصارم المكافأة المناسبة على ذلك، وهكذا تصبح اللاثقافة حالة من العدمية تعيشه الامعاصرة لمجتمعات اليوم.

9- التفكير الناعم (penser mou)

"فكر بنعومة " إلى هذا يدعونا نظام "الوسط المتطرف" والابتعاد عن التفكير العميق، الذي يصنع القناعات الراسخة والتفكير الحر،" خفف من حدة هذه النظرة الثاقبة المقلقة وإرخ شفتيك، عليك أن تفكر بليونة وتظهر ذلك"([27]) ويدعونا إلى التفكير اللين الناعم الذي يجعلنا عرضة للتبعية والانبطاح واستقبال كل ما يملى دون اعتراض، وترسيخ منظومة جديدة تنبذ التفكير المنطقي العميق، فالعالم "لايريد أفكارا جيدة؛ فآلة إتلاف الورق مليئة بها"([28]) عليك أن تفكر بهدوء وتظهر ذلك، وتتقاطع عبارة(penser mou)[29] وهوعكس التفكير النقدي التي استعلها ألان دونو وصفا لنمط التفكير عند هذه الطبقة، مع مصطلح السيولة الذي أسسه الفيلسوف زيجمونت باومان ([30]) مع التساؤل الأخلاقي والمعنوي الذي أصبح أكثر إلحاحًا في تحليله للحداثة السائلة، خاصة في مرحلة ما بعد الحداثة التي تميزت بذوبان الكثير من أسس الحداثة، إذ تم تحييد الأسس الصلبة بأخرى سائلة لا تعترف بالحدود والثبات المستمدة من عصر التنوير في مجتمع استهلاكي غارق في المرونة والتغير اللانهائي والسريع، تحت سيطرة النظام الليبرالي الجديد حيث البحث عن إشباع الرغبة الشخصية وسيطرة المصالح الخاصة وإهمال الصالح العام. وهكذا تم تمييع معايير الجمال والخطأ والصواب، واستبدلت بأخرى تدعو إلى الابتذال والتمييع.

هذه مواصفات مجتمع التفاهة كما حددها الفيلسوف الكندي ألان دونو، وهي نفسها التي بنى عليها ميلان كونديـــرا مجتمعه النصي في روايته "حفلة التفاهة" التي يقوم فيها الروائي ميلان كونديرا بالتركيز على الجانب التافه في الحـيـاة، ليعلن عن سيطرة التفاهة على كل حياتنا في كل جوانبها، لقد أصبحت التفاهة عدوى عالمية لم يسلم منها أي مجتمع.

10- الاحتفاء بالتفاهة عند ميلان كونديرا في روايته" حفلة التفاهة"

اهتم "ميلان كونديرا" بالتفاهة في روايته "حفلة التفاهة "، فهي عنده ليست مخترعة بل اختيار شخصي، لقد تعود الناس عليها بل أصبحوا يحبونها، إذ نجدها حتى في الأهوال مصائب العالم ، في الصراعات الدموية، في أسوأ المصائب ذا يجب علينا أن نتنفس هذه التفاهة التي تحيط بنا، لأنها مفتاح

الحكمة، فالبشر في عصر التفاهة ينجذبون إلى التفاهة بطريقة غير مسبوقة، أصبحت المجتمعات ترحب بالتافهين وتشجعهم لا تحاول ازاحتهم، ويوصينا كونديرا بتقديس التفاهة إنها موجودة دائماً.. هي حاضرة في كل مكان.. في فكر الحمقى...أن أصبح من المستحيل " قلب هذا العالم ولا تغييره إلى الأفضل، ولا

إيقاف جريانه البائس إلى الأمام" لقد استحكمت الرداءة والتفاهة على مفاصل الحياة، لم يعد من الممكن الإطاحة بهذا العالم، ولا إعادة([31]).

تشكيله، ولا وقف مساره المؤسف ولم يعد ينفع مع هذا الوضع سوى مقاومة واحدة محتملة هو عدم أخذ الأمر على محمل الجد، لقد أصبحت " التفاهة يا صديقي هي جوهر الوجود. هي معنا في كل مكان ودائما. إنه موجود حتى في الأماكن التي لا يريد أحد رؤيتها: في أهوال، في صراعات دموية، في أسوأ المصائب. غالبًا ما يتطلب الأمر شجاعة للتعرف عليها في مثل هذه الظروف العصيبة والاتصال بها لقد أصبحت الحقيقة الوحيدة الجوهرية في هذا الوجود([32])عليك أن تحب التفاهة، عليك أن تتعلم أن تحبها "،

فكل شيء في رواية ميلان كونديرا تافه، الأصدقاء الأربعة لا أهمية لهم يقدم المؤلف القليل عن معلوماتهم الشخصية، يعيشون على هامش المجتمع حياه تافهة يمرون فيها بمواقف تافهة يواجهون بها جدية الحياة وعمقها، فالأشخاص لا أهمية لها عند كونديرا، المهم قصصهم المتشابكة عندما يلتقون في حفل كوكتيل تسيطر عليه التفاهة من كل الجوانب حتى تصبح عقيدة عند جميع هذه الشخصيات التي تحتفي فيه بالتفاهة وتنبذ الجدية في أشد المواقف جدية وصرامة..

لقد تعامل المؤلف مع شخصية "جوزيف ستالين" سرديا بكل استخفاف، فاستحضاره يجعلنا نتوقع الحديث عن فظائع هذا الدكتاتور واستبداده خلال فترة حكمه، لكن الأمر خلافا لذلك إذ يظهر ستالين المستبد، تافها أكبر همه صراعه مع نفسه حتى لا يلوث سرواله، بسبب مرضه، في اجتماعاته الرسمية مع رجال الدولة فلا بطولة أكثر تفاهة من هذه.

أما ألان فميوله نحو "السرة" واعتبارها "موضة العصر"، فقد افتتن بجمالها واتخذها رمزا للمتعة عند المرأة– يتساءل آلان

عن القدرة الجنسية للسرة، إنها عملية إذابة لمقاييس الجمال المتفق حولها من أجل إشباع الرغبة في الاستهلاك حيث تـرد دور الموضة فيه المتغيرة حسب رغبة السوق التي عبر عنها ماركوز وادورنو في إطار مدرسة فرانكفوت بتسليع الثقافة،

إنها حرب ضد النمذجة وتمييع المعيارية باستعمال الإغواء وهي لعبة يتقنها التافهون.

– داريلو الذي يعاني من سرطان غير قابل للشفاء يتلقى نبأ سعيدا عن نفي احتمالية مرضه به، ولكنه يصر على ادعاء المرض وهو على وشك الاحتفال بعيد ميلاده، وهي بالنسبة له مناسبة غاية في التناقض مزدوجة لأن الاحتفال بعيد الميلاد ليس إلا احتفال باقتراب الموت لا شيء سيحدث سواء بقيت على قيد الحياة أم مت.

– كاليبان ففشل في أن يكون ممثلاً، فإنه يستخدم وظيفة كنادل ليعبر عن نفسه على أنه باكستاني.

لقد أعلن ميلان كونديرا في نهاية حفلة التفاهة هذه الحقيقة التافهة: "ليس هناك ما هو جدي، لا ستالين صياد الحجل، ولا من يهوى السرة... ولا المؤلف ولا أقواله...ماذا يتبقى من حياة إنسان؟ إنها هذه التفاهة "([33] إن التفاهة هي القيمة الحقيقة الوحيدة في هذا الكون).

إنها حفلة كئيبة خالية من أي احتفالية حقيقية، تجمع بين شخصيات تافهة تتصدرها شخصية ستالين وطريقة صيدة الغريبة لطيور الحجل، والأتفه من ذلك موقف رفاق خروتشوف من كذبة ستالين، يؤكد بها "ميلان كونديرا" على مفهوم "الجوهر التافه" في رؤيته للحياة وللتاريخ، حيث يصبح الانسان مسؤولا عن تقديم حقيقته أوزيفه، إنه خروج عن الاعتدال التي تستقيم به الحياة البشرية، بينما عالم اليوم في حاجة إلى العودة إلى استحضار المعايير الانسانية المعتدلة، ونبذ التطرف في كل أشكاله الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، سعيا للوصول إلى عالم تنحسر عنه هذه التفاهة المدمرة التي أصبحت مطلبا جماعيا ولم تبق ظاهرة فردية متطرفة، تؤدي إلى فساد التفكير البشري بسبب تفضيل المستوى الأدنى، الأمور الجدية في حياتنا كالتاريخ والمرض والبطولة كلها أصبحت لا قيمة لها، تعامل معها ميلان كونديرا باعتبارها أمورا تافهة تعيشها الذات الإنسانية في لحظاتها الأكثر تفاهة، ورغم أنها لا تصلح للحكي إلا أن كونديرا سيعيد كتابتها في بداياتها التافهة لتصبح هي جوهر الحياة.

خاتمة

يضاف مفهوم التفاهة إلى المفاهيم الما بعد حداثية الشائكة، ويتجلى أثر ظاهرة "التفاهة" السلبي في كل نواحي حياتنا اليومية، على الصعيد الاجتماعي والعلمي والاعلامي أننا نعيش عصر فرض فيه التافهون قوانينهم، من أجل السيطرة على "النخبة"، وإرساء قواعد لعبة جديدة قوامها دكتاتورية الفكر التي هي أخطر من ديكتاتورية الأسلحة والحروب، حيث يحال كل ما هو جدي إلى سطحية فجة يعتنقها الجميع بل ويدافعون عنها لأنها أصبحت عقيدتهم الجديدة، وهو نفس ما تجسده شخصيات "حفلة التفاهة" السطحية التي لا تتفاعل مع الحياة الا في صورة تافهة، فثقافة التسطيح تهدد وعي الشعوب وتجعلها في تبعية قاتلة تلغي وجودها الفعلي والفعال، إنه استعباد من نوع جديد، إذ تدهورت المستويات الرفيعة للمفاهيم والقيم، وحل مكانها نظام سطحي هش يُعلي من شأن الرداءة ولا يستنكر التفاهة، لأنها تخدم

أغراض السوق، لقد تحولت المجتمعات إلى قطعان توجهها وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي، وأبعد دور المؤثرين الحقيقيين من ذوي الكفاءات الذين تراجع دورهم وقزمت مكانتهم، إرضاء للسوق بعدما فرضت التفاهة وسيطرت على واقع الناس، وستؤدي إلى نهاية العالم حسب "ألان دونو" إن لم يتصدى لها أفرادا وجماعات بوضع حد للمؤسسات التي تنشط في الخفاء دعما للتافهين من أجل إنقاذ القيم التي صادرها النظام الرأسمالي المبني على نظام التفاهة، والقائم على تغييب الوعي بالحقيقة حيث يصبح الحكم على جوهر الانسان انطلاقا من معطيات مادية. يقضي على التمايز والاختلاف ويلغي البذل ويعلي من شأن الابتذال، ويشجع على هجنة الذوق في الذوق والمعايير.

المراجع:

1- (la médiocratie) لا يوجد مقابل محدد في اللغة العربية لهذا المصطلح، يشمل هذا المصطلح مفهومان: (médiocre) وهو في اللغة الفرنسية الرديئ أما عند "ألان دونو" فهو المتوسط، فيصبح مصطلح (la médiocratie) هو نظام اقتصادي بالدرجة الأولى أصوله رأسمالية يطلق عليه "دونو"الوسط المتطرف، وله تمظهرات اجتماعية، سياسية، علمية، شعارها "العمل بأقل فعالية وجودة والحصول على مكاسب أكبر" وبهذا يفرض هذا النظام وجوده ويصبح المتوسطون قوة تضاهي أو تفوق أحيانا قوة أصحاب رؤوس الأموال والشركات العالمية الضخمة المسيطرون على اقتصاد العالم، وما

يملكون من كفاءة عالية في تسيير مشاريعهم، هي عند المتوسطين أقل كفاءة يؤديه مهنيون متوسطون، إنه نظام يهدد بانهيار العالم على مستوى القيم بالدرجة الأولى، لذا يسعى المؤلف إلى تحذيرنا من خطورته وبالتالي الحد من تفشيه وسيطرته على العالم كله.

2 – أستاذ الفلسفة في جامعة كيبك الكندية. وهو أكاديمي ناشط، معروف بالتصدي للرأسمالية المتوحشة ومحاربتها خاصة فيما يتعلق بصناعات التعدين...انظر كتاب نظام التفاهة ص 13.

3– لقد ترجمت مشاعل عبد العزيز الهاجري الكتاب تحت عنوان: "نظام التفاهة"، وهي ترجمة لا تطابق العنوان الأصلي باللغة الفرنسية (la médiocratie)، فالتفاهة مظهر من مظاهر هذا النظام وهي جزء من دلالاته، ولكن مفهوم (médiocratie) أكبر من أن يكون نظاما للتفاهة فقط، والعنوان الفرعي في كتاب ألان دونو" سياسيات الوسط المتطرف" تبين بوضوح المقصود منه.

4/15 décembre 2016. luxediteur.com/mediocratie-dictature-de-lextreme-centre.

5- Alain Denault , p6.

6- Kenneth White, Face à la mediocratie,1940.html

7- Alain Deneault,p6:

Le dictionnaire de politiquettps://www.google.com -8

9 – ألان دونو، نظام التفاهة، (تر/ تع) مشاعل عبد العزيز، الهاجري، دار سؤال للنشر لبنان، بيروت، ص14.

10 - Médiocratie", quand l'insignifiance prend le "https://www.youtube.com https://www.youtube.com/watch

11 -La médiocratie, Alain Deneault, (2015), La médiocratie, Liberté (306), P40.

12 – ألان دونو، نظام التفاهة، ص 18.

13– أصدر المؤلف في عام 2017 كتابه تحت عنوان(la mediocratie) وقد نجح الكتاب...فلاقى رواجا في كثير من دول العالم بسبب من أطروحاته الجريئة وأسلوبه المختلف. انظر كتاب نظام التفاهة ص 13.

14 -La médiocratie, Alain Deneault, (2015),. La médiocratie, Liberté, (306), P40.Document generated on 03/11/2023 4:18 p.m.

15-Nicolas ChouinAlain Deneault, La médiocratie,https://www.cairn.info/revue-humanisme-2016.

16-Nicolas ChouinAlain Deneault, opcit

17 - Alain Deneault,p 5.

18 -Pascal Herlem, L'offensive de l'insignifiance,cairn.info/revue-le-coq-heron-2008-1-page-152.htm

-19 Alain Deneault,p 15.

20– تعريب لكلمة(mediocratie) بعد تعذر إيجاد المكافئ اللغوي للكلمة في لغتها الفرنسية

21 – ألان دونو، نظام التفاهة، (تر وتع) مشاعل عبد العزيز، الهاجري، دار سؤال للنشر لبنان، بيروت، ص14.

22 - https://www.lalanguefrancaise.com/dictionnaire/definition/mediocratie

23 – الوسط المتطرف مفهوم جديد جاء به ألان دونو ويقصد به

24 – ألان دونو، ص 14.

25 –https://luxediteur.com/mediocratie-dictature-de-lextreme-centre

26- Alain Denault, p13.

27- Alain Deneault, p5

28- Alain Deneault,p 5.

29 - Alain Deneault, p5.

30 – يُعرف زيجمونت باومان بأنه المنظر لمفهوم "السيولة"، وكان للمؤلف الفضل الأكبر في تأسيس هذا المفهوم للتمييز بين الحداثة وما بعد الحداثة.

31- ميلان كونديرا، حفلة التفاهة، (تر) معن عاقل، ط1، 2014، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ص 108.

32- ميلان كونديرا، المصدر نفسه، ص 108.

33 -ميلان كونديرا، حفلة التفاهة، ص 98.